

ظهرت الأديان كحالة جوهرية في الحياة الإنسانية، وجاءت استجابةً للسؤال والحياة والموت، فكانت والآن في قلب المسيرة الإنسانية وجزءاً من تاريخها. إن الحضور الديني في التفاعل الإنساني يبدو أساسياً في مجمل الثقافات والمجتمعات على مدى التاريخ، فقد لعبت الأديان ومؤسساتها سلطتها أدواراً عديدة على المستوى العام والخاص، إذ شكلت عنصراً استراتيجياً في تشكيل هويات ثقافية واجتماعية، ووظفت في العمليات السياسية أداءً مهام عديدة تصب في الشرعية السياسية، وتبرير الخطاب السياسي لبعض النخب الحاكمة ودعم قراراتها، وبرزت بوصفها مكوناً مهماً في السياسة الخارجية للدول وتعاملها مع بعضها البعض. وقد ظهر الحضور التاريخي للدين في أوروبا إبان العصور الوسطى كعنصر جسد من خاللها أدواراً عديدة ومتناقضة، استخدمت في بعض مراحلها الدين كجسر لمنظومة من المصالح المتعددة سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، وانتهت عملية التوظيف السياسي والمصلحي للأديان إلى شن الحروب بين الدول وألم وجماعات المختلفة، حتى نخرت الدول والمجتمعات الأوروبية بالصراعات الطائفية والحراب والأهلية، وبدت عاجزة عن الحفاظ على وحدتها وتماسكها الاجتماعي. وتذهب بعض القراءات إلى أن هذا الواقع السياسي الأوروبي والتراتبات الحركية والفكري، أقنعت الأوروبيين باستبعاد الدين من عملية تجانس الحالة الاجتماعية وتفاعل الحياة السياسية، وخلق الدولة القومية التي تعتمد في نسيجها الاجتماعي وتفاعلها السياسي على الشعور القومي آل غير. وربماً حددت الحادثة الغربية زمنياً بالخروج من العصور الوسطى عبر ثورة نقضت عرى الدين، ووضعت المرجعية الدينية بـأيديولوجيا في المجتمعات الغربية منذ عصر التنوير، حيث أزيحت سلطة الكنيسة عن المجال السياسي، وكرست مفاهيم العلمانية ومعيار التناصف والتمثيل النبأ في إطار النظام الديمقراطي، لتحل محل قداسة الحاكم وسلطته الإلهية. وحين قامت الثورة الفرنسية عام 1789 م التي كانت ثورة كبيرة شملت تأثيراتها كثير من المجتمعات الأوروبية، ووصل صداها إلى عالمنا العربي والإسلامي. كان في مقدمة أهدافها استئصال الدين وإحالـل آلـصرة الـقومـة محل الدينية في عملية التجانس والتندمـاج المـجـتمـعي، ورفضـ اـدـراجـ أيـ دورـ للـدـينـ فيـ الـحـيـاـةـ السـيـاسـيـةـ. وـربـماـ أـمـكـنـ القـولـ إنـ النـمـوذـجـ الـقـومـيـ كـماـ جـسـدـهـ الـوـاقـعـ الـأـورـبـيـ عـقـبـ الثـورـةـ، هوـ نـمـوذـجـ تـارـيـخـيـ فـرـضـهـ وـاقـعـ سـيـاسـيـ مـعـينـ، اـرـبـطـ بـصـرـاعـ القـوـىـ السـيـاسـيـةـ مـعـ النـظـامـ الـقـدـيمـ الـذـيـ يـمـثـلـ الـكـنـيـسـةـ وـالـقـطـاعـ أـبـرـزـ مـؤـسـسـاتـهـ، وـهـيـأـ لـنـشـوـئـهـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـعـوـاـمـ الـفـكـرـيـةـ الـخـاصـةـ بـهـ. وـعـلـىـ ضـوءـ ماـ تـقـدـمـ تـبـلـوـرـ مـجـمـوعـةـ مـنـ التـسـاؤـالـتـ، حـوـلـ مـوـقـعـ الـمـفـكـرـيـنـ السـيـاسـيـيـنـ مـنـ الـدـينـ كـعـقـيـدـةـ وـمـمارـسـةـ عـبـادـيـةـ، وـعـنـ طـبـيعـةـ الـعـالـقـةـ بـيـنـ الـدـينـ وـالـسـيـاسـةـ فـيـ نـظـرـهـمـ، وـمـاـ هـوـ دـورـ الـدـينـ فـيـ تـجـسـيدـ شـخـصـيـةـ الـمـوـاطـنـ وـعـلـيـةـ التـنـدـمـاجـ الـجـتمـاعـيـ فـيـ إـطـارـ النـظـامـ الـدـيمـقـراـطيـ؛ وـأـخـيرـاـ هـلـ اـنـتـهـيـ الـدـينـ